

درر العقود الفريدة

في

تراجم الأعيان المفيدة

للمقرئ

بقلم

الدكتور محمد بن الجليلي

طبعت كتب متعددة في أوقات مختلفة لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ ولكن أحد كتبه المهمة لم يطبع حتى الآن ولم ينشر عنه شيء وهو كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) الذي ذكر فيه من عاصره ، فرأينا أن ننشر هذا البحث للتعريف بالنسخة الخطية الكاملة الوحيدة منه ، وأن ننشر ترجمته لابن خلدون مثلاً للتراجم وربما نشرنا تراجم أخرى في المستقبل .

يقع الكتاب في مجلدين : الأول من ٣٨٨ صفحة في كل منها ٢٩ سطراً بمعدل ١٤ كلمة في السطر أي ما يقرب من ١١٨٠٠٠ كلمة مكتوبة على ورق جيد وأبعاد هذا المجلد ٢٢ × ١٩ سم وسمكه ٤٧٥ سم ، أما أبعاد الكتابة فهي ١٨ × ١٢ سم ، وقد نسخها علي بن محمد بن عبد الله الفيومي وقرغ منه في ١٩ شعبان سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٤/١/١١ م) . والمجلد الثاني من ٨٤٠ صفحة في كل منها ١٩ سطراً بمعدل ١٣ كلمة في السطر أي ما يقرب من ٢٢٠٠٠ كلمة . وأبعاد الكتاب هي ٢٧ × ١٩ سم وسمكه ٦ سم ، وأبعاد

الكتابة فيه ٢٠ × ١٢ر٥ سم . وهو بخط أحمد بن محمد التلواني الأزهري وقد فرغ من كتابته في ١٧ شوال سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٤/٣/٧ م) أي ان الجزئين تمّا في سنة واحدة قريبة عهد بالمؤلف الذي توفي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م) . ولقد نسخ الكتاب عن نسخة بخط المؤلف كما جاء في إحدى الحواشي مما يجعل قيمة النسخة كبيرة .

وخط الجزئين جيد وفيه تسهيل الهمة ونقص في بعض النقط وهمزة الآخر . ولقد نشرنا صورة الصفحتين الأولى والثانية من الجزء الأول التي تشتمل على المقدمة وآخر صفحة من الجزء الأول التي تبين سنة كتابته وآخر صفحة من الجزء الثاني التي تبين سنة كتابة هذا الجزء وتعطي فكرة واضحة عن الخط .

وعلى الكتاب أسماء الذين ملكوه وقد مسحت أسماء بعضهم وأقدم تملك واضح التاريخ هو سنة ٩٧٢ هـ ثم سنة ١٠٨٥ وسنة ١٢١٨ وآخر تملك في سنة ١٢٢٥ هو للحاج عثمان بك بن سليمان باشا بن الغازي محمد أمين باشا الجليلي وهو من اجداد كاتب هذا البحث . ويظهر ان الكتاب انتقل من مصر الى الشام الى الموصل . وعلى النسخة بعض التعليقات والأبيات في الجزء الأول . ويوجد فهرس ناقص في الجزء الأول .

ويوجد في الجزء الأول ٢٠٦ تراجم من حرف الألف إلى حرف الظاء . وفي الجزء الثاني ٣٥٠ ترجمة من حرف العين الى حرف الياء . والكتاب مؤلف على حروف الهجاء حسب اسم الشخص المترجم مثلاً ابن خلدون في حرف العين (عبد الرحمن بن خلدون) ، ولكن الاسماء تحت الحرف الواحد ليست متسلسلة حسب الحروف التي تكونها فتجد مثلاً عبد العزيز قبل عبد الرحمن وكذلك بعده وهكذا .

وجاء ذكره في كشف الظنون : (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لتقي الدين احمد بن علي المقرئ الشافعي المتوفى سنة ٨٤٥ ذكر فيه من عاصره في ثلاث مجلدات) ولكن النسخة الموجودة لدينا في مجلدين وهي كاملة . وذكر محمد عبد الله عنان

الحزب الاول من تاريخ التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واسر يا الله
 الذي خلق الخلاق وهدىهم عن دأبهم وحرب لسايرهم آجالا مقدرة
 ومددا وجعل لهم السمع والابصار والافئدة لعلمهم يشكرون ، وانظفهم في ارضه
 لينظر كيف يعملون اقامهم جلا بعد جيل واستعبرهم قبلا في اتر قبيل ليعرفوا الاول
 الثاني قصصه مواعظ وعبرا ويحيي الاخر المتقدم ذكره ويشرح خبرا ، كي يرعوي العظم
 عن صلابهم ويستقيم ويقتدي بالارباب بما هو الاحسن من الاخلاق والاصح حتى اذا
 اخضت امام الحياة الدنيا وزالفت واقتربت من الخلاق الساعة وحانت حشرهم جميعا
 اليه ، واقامهم كافة بين يديه : ليعزي الذين اساءوا بما عملوا ويغزي الذين احسنوا بالحقني
 حجة الايصال العاد وان استقصى قضاء ولا يدرك الحاسب وان دقق
 منها ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مثل ولا ثمان له تعالى عن الحساب
 والعديل واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبية المصطفى وخليفه صلى الله عليه وعلى
 اله وصحاته وازواجه وسائر اهل طاعته وسلم وشرف وكرم
 فاي ما حضرت من سني العمر الحسن حتى قدمت خطم الاصحاب والاقربين فاشتد حزني
 لتقدمهم وتنفق عيشي من بعدهم فغزت النفس عن لقاءهم تذكاريهم وعوضتها عن مشاهدتهم
 باهتمام اجارهم واسليت ما حضرني من انبايهم في هذه الكتاب وسميت هذه بالوقود التي
 في تراجم الايمان المنيك وهو في الحقيقة ذكر معا هذا الاحباب وتذكر عهد الشجوة والاصحاب
 والله اسئل ان يرد في مقدر البلي متفجعهم وهو يوم التصادم بهموم ويحمني وهو يدرك كرامته
 في نعمته وسعني وايامهم بالخلود مع الابرار في جناته بمره وكرمه وفي ذلك العاقل
 عقدت لعمري كما كان لي يحلو واوحشني قومهم كان لي شغل
 فلا غلب في الناس ارجو قدومه ولا زلزل همي بوزرته تجالوا
 ولا صاحب ارجو لدفع كزيفه اذا همي الايام ما خطبها سهل
 ولا مسدود المراهي في هو سرشد ولا سجد بالجاه قدري به يغالوا
 ولا فارح من الهوم بانه ينظر حسي ما عطف به الشك
 ولم يتبق لي من صباه ومباه له بها نفسي ويجمع الشك
 وقد اعدت نفسي عن اللهو حلة وملت لقا الناس حتى وان خالوا
 وصار عهد الله شعلي وشاعلي فوايد علمت من شغل الاحباب
 فطو رايراعي كاتب لعايد يحسنه فدا ما الغفل والناس
 وبه للعالم صدي خاضع وتركو به نفسي رعن همي نسالوا
 بود ذلك اجمع حمار من ادر كنه سوا كتاب عن اوراقه من اهل مصرى كان او غيرها

من الملاح

الصورة الأولى : الصفحة الأولى من المقدمة ، والكلمة غير الظاهرة

مكتوبة بحبر أحمر وهي : نحمدك ، وبعد

من الله انه فاقيد اخبار الملوك والامراء واعيان الكبار والوزراء واذكر رواد الحديث
والفقه وعلمه ساير العلوم والشجيرة ومن له ذكر شير او ذكر فيه خطير امام من
رجال الدنيا او طلاب الاخرى من ائمة سنة ستين وسبع مائة واورد في كل ملك اربعة
دولة ومن سلف من ملوك مملكته في محيط الناطق فيه علماء دول الزمان وملوك العصر
والاوان فكان قد ومضوا وزالت دولتهم وانقضى اسم الله في الذين حلوا من قبل ولن يخد
لسمه الله تبارك وتعالى وحسبي الله وكفى بالله وكلا

في محمد بن بابا دين عبد الله الشيخ برهان الدين بن زرقاعة واليه سنة خمس واربعين
وسبع مائة وعاني صناعة الخطه واخذ القرائن عن الشيخ عمر الدين الحكري والفقه على مذهب
الامام الشافعي عن يد رالدين القنوني والتصوف عن الشيخ عمر حفيد الشيخ عبد القادر وسبع
الحديث من نور الدين علي القوي وقوله المشهور ونظير في الجيوم وعلم الحرف وبرع في معرفة
الاعشاب وساج في الارض وشجيرة وترتهد فاشتهر في بلاد شنع وعرف بالصلاح والخير
فرع السلطان الملك الظاهر برقوق في لقائه وامدعاه اليه قدم لا اير سلطنته بالغ
في تعظيمه مخرج الناس الى ريارته رتد اولوا مدحه والثنا عليه وعف عن تناول ماله
السلطان وعبر نقوب الرعه في اعتنا به وعاد اليه وكان السلطان يستدعيه في كل سنة
لحضور المولد النبوي في شهر ربيع الاول بقلعة الجبل والناس فيه فريقان فريق يعتقد انه
ولي الله ويحكي عنه حوائف وفريق يرفعون اسمه مشهد ثم اخل السلطان عند واختص بسيد
السلطان باسمه الملك الناصر مخرج ولا كما خصا من ابيه به فلما زالت دولته بانويده شيخ تنكر
على البرهان هذا وانهاه فلزم بيته بالفاهر حتى مات في ثامن عشر ربيع ذي الحجة سنة ست
عشر وثمان مائة واجتمعت به غير من فريت شيخا مهذرا مكارا اكثر كلامه في الاعشاب
مع استنصار عدة فنون وانشاده لاشعار لاسيما قصيد ذكر لي الاسبعة الاف وسبع مائة
وصيته وسبعين بيتا مشتمل على صفة الارض وما فيها وزقاعة نعم الزاي وتشديد القاص
وفتح العير المملية ثم هاسا كيه ومن شعر يمدح قاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن جماعة
لملة احمد برهان دين يقوم بمظلمة في كل ساعة

فت في حبه ان شئت يحيي فذا البرهان قد احيى جماعة
وقال
وحق الطام من طه وفتح القاسم الفتح
ووفات القرب من قات على صا د من الصبح
دورع الحب ويلي كزيع الحب والفتح
لقد زادت صا ماني وطال الشرح من مخرج
دكم اربعي ثراها ورحوزها وهر صبح
بليل السه صلت سواد ه رستحي
شومي لا يري عيني وعيني لا تري صبحي
قيام من بوجل العشاق دغ لومي دوع صبحي

الصوره الثانية : نعمة المقدمة والبدء بالتراجم ، والسكيات غير الظاهرة مكتوبة بحبر أحمر وهي حرف
الألف و ابراهيم

بِحِزِّ الْكُتُبِ الْأَوَّلِ مِنْ تَارِيخِ الْمَقْدِيرِ بِرِي عَمْرٍاءَ اللَّهِ وَعُونَهُ وَحَسَنَ تَوْفِيقِهِ
وَحَسْبًا لِلدُّرِّ وَبِعَمْرِ الْوَكِيلِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الْغِيُوثِ حَامِدًا لِلَّهِ وَمُنْتَزِعًا بِرَسُولِهِ
اللَّهُ دَاعِيًا لِمَا لَكَ زَادَهُ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَالسِّيَادَةِ وَجَعَلَهُ مِنَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَبَارَكَ
وَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ أَمْرًا تَارِيخِ النَّاسِ وَالْحَشْرُونَ مِنْ شَهْرَيْنِ الْكَرَمِ سَنَتَيْنِ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ

أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَهَا

الصورة الثالثة

آخر صفحة من الجزء الأول من الكتاب وتظهر فيها سنة كتابته واسم الناسخ

فلم يتم لهم امر وانقضوا امرانه فإذ إلى طاعة السلطان وجمع سنة ثلاث وسبعين
 وسبع مائة ومثلين يدي السلطان الملك الظاهر برقوق بقلعة الجبل بمصر
 سنة ستاد أي زيد بن جلدون وعرف السلطان بمقدار يوسف فأكرمه السلطان وبعث
 على كتابين هديتين إلى السلطان إلى العباس أحمد بن أبي سالم صاحب
 فارس فقدم بها على السلطان وهو شاذلي فأعجب بها وعزم على تجهيز هدية
 إلى السلطان الملك الظاهر برقوق صاحب مصر عوضاً مما أتته في محضر سنة
 ست وسبعين وأقيم بعد أبيه أبو فارس العزيز وعاد العسكر إلى
 فارس بن حسين بن علي بن محمد بن زكريا الواحلي ولد بالقاهرة سنة
 خمس وستين وسبع مائة وأشهد بالفقهاء على مذهب الشافعي وسمع على شيخنا
 الخواوي وغيره وحكاه عنه وكان يكتب بالجلوس إلى هوايته
 اليهود ويكر المنكرين ومنهم نزلوا إلى مرارة ونعم الرجل كان توفي ليلة
 الخميس رابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وأربعين ومائة أخبرني
 رحمه الله قال سمعت الشيخ عبد الله بن خليل البني رحمه الله
 يقول شيخنا المتفضل بالنعيم على شيخنا النعم شيخنا الحليم مع تكمين
 القدرة ثم الجزء المبارك الثاني من كتاب التاريخ للشيخ الأمام

العالم العلامة البحر الفهامة شهاب الدين أحمد

ابن نور الدين علي المستور يري الشافعي نعم

الله برحمته وأسكنه مسكنه جنته

وذاك على يد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد

التلواني الأزهر بحضرته له ولوا

لديه

ولما توفي هذا الكتاب ودعاه

بالنوبة والمغفرة والجميع المميز

وصل الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه وسلم

والحمد لله

وحده

وكان الفراغ من كتابه يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الأول المبارك سنة ثمان وسبعين ومائة

في كتابه (ابن خلدون - حياته وتراثه الفكري حاشية ص ٩٢) (لم يصلنا من درر العقود
الغريدة سوى قطعة صغيرة واعتمادنا هنا على ما نقله السخاوي وابن حجر عن المقرئزي) .
ولقد ذكر بروكلمان وجود نسخة منه بمجلدين في الموصل ويظهر ان ذلك مستند إلى
مخطوطات الموصل للجلبي .

وللأننا أكد من صحة اسم الكتاب ونسبته الى المقرئزي قارنا جملاً وردت في ترجمة ابن
خلدون مع ما اقتبس منه السخاوي في الضوء اللامع فوجدناها مطابقة تؤكد صحة
نسبة الكتاب .

وفيما يلي مقدمة الكتاب التي وضعها المقرئزي وبين فيها سبب تأليفه ثم يعقب ذلك أسماء
عدد من الذين ترجم لهم مع عدد الصفحات التي تبحث عنهم ، وبديهي أن القائمة لا تحتوي
جميع التراجم وإنما قسماً منها ، وبعض هذه التراجم مستفيض وفي كثير منها يروي مشاهداته
أو معرفته بأصحابها أو ينقل عنهم بعض الروايات .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر واعن يا الله

الحمد لله الذي خلق الخلائق وعدهم عدداً ، وضرب لسائرهم آجالاً مقدرة ومدداً ، وجعل
لهم السمع والابصار والأفئدة لعلمهم يشكرون ، واستخلفهم في أرضه لينظر كيف يعملون ،
أقامهم جيلاً بعد جيل ، واستعمرهم قبلاً في أثر قبيل ، ليبقى الأول للثاني قصصه مواعظ
وعبراً ، ويحيي الآخر المتقدم ذكراً وينشئ من خبراً ، كي يرعوي الفطن عن فعل ما يذم
ويستقبح ، ويقتدي الأريب بما هو الأحسن من الأخلاق والأصالح ، حتى إذا انقضت آماد
الحياة الدنيا وزالت ، واقتربت من الخلائق الساعة وحانت ، حشرهم جميعاً إليه ، وأقامهم
كافة بين يديه ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

أحمد حمداً لا يبلغ العاد وان استقصى أقصاه ، ولا يدرك الحاسب وان دقق ، منتهاه ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل ، ولا معاند له ، تعالى عن المعاند
والعديل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحباته وأزواجه وسائر أهل طاعته ، وسلم وشرف وكرم .

وبعد : فاني ما ناهزت من سني العمر الحسين ، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين ،
فاشدد حزني لفقدهم وتنغص عيشي من بعدهم ، فعزيت النفس عن لقاءهم بتذكارهم ،
وعوضتها عن مشاهدتهم باستمتاع أخبارهم ، وأملت ما حضرني من أنبأهم في هذا
الكتاب ، وسميته درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، وهو في الحقيقة ذكرى
معاهد الأحباب ، وتذكر عهد الشيخة والأصحاب ، والله أسأل أن يرد في مقر البلى
مضجعهم ، ويقر ليوم التناد مهجعهم ، ويجمعني وهم بدار كرامته في نعمته ، وينعمني وإياهم
بالخلود مع الأبرار في جنته ، بمنه وكرمه . وفي ذلك أقول :

فقدت لعمرى كل ما كان لي يحلو	وأوحشني قوم بهم كان لي شغل
فلا غائب في الناس أرجو قدومه	ولا زائر همتي بزورته يحلو
ولا صاحب أرجو لدفع كرهية	إذا محن الأيام ما خطبها سهل
ولا مسعف بالرأي لي هو مرشد	ولا منجد بالجاه قدري به يعلو
ولا فارح عني الهموم بأنسه	يطارحني همأ يخف به الشكّل
ولم تبق لي من صبوة وصبابة	تلدّها بها نفسي ويجمع الشمّل
وقد أعرضت نفسي عن اللهو جملة	وملّست لقاء الناس حتى وإن جلو
وصار بحمد الله شغلي وشاغلي	فوائد علم لست من شغلها أخلو
فطوراً يراعي كاتب لفوائد	بصحتها قد جاءنا العقل والنقل
وأونة للعلم صدرى جامع	فتزكو به نفسي وعن همها تسلو
ثم اني رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من ادركته ، سواء غاب عني أو رأيته ، من أهل	

مصري كان أو غيرها من البلدان ، فأقيد أخبار الملوك والأمراء ، وأعيان الكتاب والوزراء ،
واذكر رواة الحديث والفقهاء ، وحملة سائر العلوم والشعراء ، من له ذكر شهير ، أو اسم
نبيه خطير ، أما من رجال الدنيا أو طلاب الأخرى ، من ابتداء سنة ستين وسبعمئة ، وأورد
في كل ملك أولية دولته ، ومن سلف من ملوك مملكته ، كي يحيط الناظر فيه علماً بدول
الزمان ، وملوك العصر والأوان ، فكان قد مضوا ، وزالت دولتهم وانقضوا ، سنة الله في
الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، وحسي الله وكفى بالله وكيلاً .
وبعد ذلك ابتداءً بحرف الألف . وندرج في أدناه عدداً من أصحاب التراجم مع عدد
صفحات بعضها :

ابراهيم أبو اسحاق برهان الدين بن جماعة .

ابراهيم بن غراب .

السلطان ابراهيم المريني ملك فاس - ٧ صفحات .

السلطان احمد أبو العباس المريني - ١/٢ ٣ صفحة

ابو بكر العماد الحنبلي .

ابو بكر ابن حجة الحموي .

ابو بكر قاضي الزيداني .

احمد شهاب الدين المقرئ المؤرخ .

احمد بن حجر العسقلاني - ٥ صفحات .

احمد شهاب الدين ابن العطار الشاعر .

السلطان احمد بن أويس الجلايري - ٩ صفحات .

احمد السبكي - ٤ صفحات .

السلطان احمد شاه أبو المغازي صاحب كربلكا - ٤ صفحات .

الشيخ أحمد الظاهري - ٤ صفحات .

السلطان أحمد نور الدين صاحب اليمن (الملك الناصر) - ١/٢ ٣ صفحة .

اسكندر بن قرا يوسف التركاني صاحب توريث - ٣ صفحات .

قاضي القضاة اسماعيل محمد الدين البليسي - ٣ صفحات .

اسماعيل شرف الدين ابن المقرئ - ١/٢ ٣ صفحة .

ايدكوا ملك الترك - ١/٣ ٢ صفحة .

السلطان بايزيد (أبو ايزيد) - ٩ صفحات .

السلطان الملك الاشرف برسباني - ١/٢ ١٥ صفحة .

بطره ملك قشتالة - صفتين .

بطره ملك برشلونة - صفحة واحدة .

أمرء المماليك .

أمرء التتار - تقتمش - ٤ صفحات .

تيمور كوركان - ٣٥ صفحة .

الامير ثابت عز الدين أبو قيس الظاهري امين المدينة - ٦ صفحات .

حكم الملك العادل أبو الفتوح عبد الله أحد المماليك الظاهرية - ٤ صفحات .

جيتسوس ملك قبرص - ١/٢ ٤ صفحة .

حسن بن عجلان امير مكة - ٥ صفحات .

حسين بن علا الدولة بن غياث الدين بن أويس ، آخر ملوك العراق من الأتراك - ١/٢ ١١ صفحة .

الحسن بن محمد قلاوون - ٥ صفحات .

خلف بن حسن القحطاني من أمرء الهند - ١/٢ ١ صفحة .

خليل بن اميران شاه بن تيمور كور - ٦ صفحات .

شاه شجاع بن محمد اليزدي ملك فارس - ٣ صفحات .

شاه روح بن تيمور كوركان - صفحة واحدة .

السلطان الملك المؤيد احمد المالك الظاهرية - ٤٢ صفحة .

صالح بن محمد قلاوون .

ومن الجزء الثاني نذكر اصحاب التراجم التاليين :

عبد الحلیم المريني - صفحتين .

جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي الأموي - ١/٢ ٢ صفحة .

عبد الرحمن ابن خلدون - ١٨ صفحة .

عبد الرحمن بن مكائس - صفحة واحدة .

السلطان ابو ياشفين - صفحة واحدة .

السلطان عبد العزيز أبو فارس المريني سلطان المغرب وملك فاس - ٧ صفحات .

السلطان عبد العزيز بن السلطان ابي العباس الهنتاني ملك تونس وعامة افريقية - ١٠ صفحات .

السلطان عبد العزيز بن برفوق الملك بن آنص السلطان الملك المنصور - صفحتين .

قاضي القضاة عز الدين الحموي - ١/٢ ٣ صفحة .

الأمير عبد الغني بن عبد الرزاق بن ابي الفرج - ٥ صفحات .

عبد العزيز بن محمد الوزير المقرئ البابي - ١/٢ ١ صفحة .

قاضي القضاة عبد اللطيف جمال الدين المرديني - صفحتين .

عبد الله ابن خليل العسقلاني - صفحة واحدة .

عبد الوهاب ابن ابي شاكر - صفحتين .

عبد الله ضيا الدين قاضي القرم - ١/٢ ١ صفحة .

السلطان عثمان بن احمد المريني - ٤ صفحات .

- القاضي عمر بن رسلان البلقيني - ٤ صفحات .
- القاضي عمر بن اسحق القرنوي - صفحتين .
- علي بن الدريهم الموصللي - صفحة .
- علي ابن الادمي الدمشقي - ٣ صفحات .
- الشريف علي الحسيني امير مكة - ١ ١/٢ صفحة .
- علي بن داود ملك اليمن - ١١ صفحة .
- القاضي علاء الدين العمري - ٣ صفحات .
- القاضي علي شمس الدين ابن ابي العز الأذري - صفحتين .
- علي بن الطبلاوي - ١ ١/٢ صفحة .
- علي بن داود ملك اليمن - ٣ صفحات .
- السلطان الملك الظاهر مجد الدين الارتقي صاحب ماردين - ١ ١/٢ ٤ صفحات .
- عمر بن عبد الله الاسواني الشاعر - ٣ صفحات .
- عثمان بن مغامس امير مكة - ١ ١/٢ صفحة .
- القاضي فتح الله بن معتصم الاسرائيلي - ٧ صفحات .
- الامير كمشيغا سيف الدين الحموي - ١ ١/٢ صفحة .
- القاضي مجد بن ابراهيم المناوي - ١ ١/٢ ٤ صفحة .
- القاضي مجد شمس الدين الطرابلسي - صفحتين .
- مجد بن عبد الدايم ابن الملق - ٣ صفحات .
- القاضي بدر الدين مجد السبكي - صفحة .
- مجد ابن سكر المصري - ١ ١/٢ ٢ صفحة .

- القاضي محمد جلال الدين النيسابوري - صفحة .
- محمد شمس الدين الكراكي - ١ ١/٢ صفحة .
- محمد ابن كلقت - صفحة .
- شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي - صفحتين .
- الشيخ محمد شمس الدين الجزري - صفحة واحدة .
- القاضي محمد الدين بن شحنة - ٣ ١/٢ صفحة .
- محمد ابن خطيب داريا - ٥ صفحات .
- محمد الغُرِّيَّاني - صفحة .
- محمد الفيروز ابادي - ٢ ١/٢ صفحة .
- محمد السفاري الهوي - ٢ ١/٢ صفحة .
- محمد بن ابراهيم المقدسي - ١ صفحة .
- محمد بن أبي بكر السعودي (خدام المؤلف) - ٢ ١/٢ صفحة .
- محمد بن عمر التمكري - صفحتين .
- الامام الخطيب محمد المقرئ التونسي - صفحة .
- محمد بن نباته - صفحتين .
- الأمير محمد الهنتاني صاحب العنان - ٩ صفحات .
- أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي - ٤ صفحات .
- الامام شمس الدين محمد ابن الصانع - ٤ صفحات .
- السلطان أبو عبد الله محمد ابن الأحمر - ٢ ١/٢ صفحة .
- محمد الدَّمْدَمَكِي - ١ ١/٣ صفحة .

الخليفة المتوكل على الله - صفحتين

السلطان السعيد محمد المريني - ١٢ صفحة .

محمد بن موسى ابن أبي حمو ملك تلمسان - ١/٢ ٢ صفحة .

وان شاء الله تعالى سنقوم بنشر بعض النصوص من هذا الكتاب القيم .

الدكتور محمود الجليلي

تموز ١٩٦٥

المراجع :

- ابن خلدون - التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً - نشره محمد بن تاووت الطنجي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥١ م .
- الجلبي ، داود - مخطوطات الموصل مطبعة الفرات بغداد ١٩٢٧ م .
- حاجي خليفة (ملا كاتب جلبي) - كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ج ١ ص ٣٧٤ . دار الطباعة المصرية . ١٢٧٤ هـ .
- السخاوي - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - ج ٤ ص ١٤٥ - ١٩٥ ، طبعة القاهرة ١٣٥٤ هـ .
- محمد عبد الله عنان - ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكري - ص ٩٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٩٣٣ م .

Brockelmann C. - Geschichte Der Arabischen Litteratur, II, 57. Leiden, E. J. Brill, 1938.

ترجمة ابن خلدون للمقريزي

تراجم ابن خلدون كثيرة كتب احداها بنفسه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) ، وكتب غيرها آخرون بين معجب ومنتقد (ابن حجر ، السخاوي) كما نشر كثير من المتأخرين كتباً عنه (طه حسين ، محمد عبد الله عنان ، ساطع الحصري) ولكن ترجمة ابن خلدون للمقريزي بقيت غير معروفة ولا منشورة عدا كلمات نقلها ابن حجر ثم السخاوي في الشفاء على المقدمة وعابا على المقريزي مبالغته في اطراء ابن خلدون ومدحه .

وقد آثرنا نشر نص الترجمة فقط دون تعليق أو اضافة ، وذلك كما جاءت في النسخة الخطية الموجودة لدينا من كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة) والتي وصفناها في محل آخر من مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٥ صفحة ٢٠١) ، كما ذكرنا بعض فقراتها عند بحثنا عن مرض ابن خلدون وتأثيره على تأليفه (مجلة المجمع العلمي العراقي — تحت الطبع — . وتقع الترجمة في ١٨ صفحة في الجزء الثاني من الكتاب ، وهي من اكبر تراجم الكتاب اذ لم تزد عليها أو تقرب منها غير تراجم السلطان الملك المؤيد (٤٢ صفحة) وتيمورلنك (٣٥ صفحة) والسلطان الملك الاشرف برسبائي (١٥ صفحة) وعلي بن داؤد ملك اليمن (١١ صفحة) والسلطان عبد العزيز بن السلطان ابي العباس الهنتاني (١٠ صفحات) . والتراجم الباقية في الكتاب دون العشرة صفحات .

وترجمة ابن خلدون ورد قسم منها بعد ترجمة عبد الرزاق المصري ، والقسم الآخر بعد ترجمة عبد الرحمن بن علي الفارسكوري . وتوجد الحاشية التالية بخط الناسخ (وجد بخط

ابن احمد بن مسعود بن داود بن يوسف بن عبد الله بن الزبير بن العوام وانه
 كان كثير العبادة يوتر بماله ويقرا المصحف بالجامع وانه قرا القرات
 على ابنته ابني الفتح عبد الناصر بقراته على ابنته ابني الفتح هبة الله بقراته
 ابني علي القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن اسماعيل بن حفص الصفري وانه قدم
 القاهرة واخذ عن جماعة ومات بالحملة يوم السبت خامس عشر ربيع الاول
 سنة تسع واربعين وسبع مائة بالطاعون وقد اطلق في ترجمته
عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن لاجين الرشدي الشافعي زني الدين
 ابو محمد مؤلف سنة احدى واربعين وسبع مائة بالقاهرة وسبق بها من عبد
 الرحمن بن عبد الهادي وابن الملوك والميدوي ويدر بن اميله وعمر بن طلحة
 واليا في حديث وشرح في علم الحساب ومعرفة الفرائض وشرح في
 الجعبرية واليا سميت في الجور والمقابلة وكتب مجاميع معمله وكانت له معرفة
 بعلم الميقات وتولى رياستها ويقرا القرات بحسن نغمه وولي خطابة جامع
 امير حسين بالبحر حتى مات يوم الثلاثاء في جمادى الاخرة سنة ثلاث وثمانين
عبد الرحمن بن علي بن خلف زين الدين الفارسي الشافعي ابوا
 المعالي بسوع في الفقه والحديث والعربية وكتب على شيوخ العمدة لابن
 دقيق العيد فوايد جلية وعلق غيره ذلك وكان من حرم من صحبت نسكا
 ودينا وخيرا وسعيا في قضاء حوائج احواله ولي قضاء المدينة النبوية في سنة
 اثنين وسبعين وسبع مائة ثم صرف عنها فصل توجه اليها بدار الدين بن عبد
 الرحمن بن محمد بن صالح ودرس بالمصورية من القاهرة بعد قاضي القضاة
 صدر الدين محمد المناوي وتوفي ليلة الاحد سادس عشر من شهر رجب سنة
 ثمان وثمانين مائة **عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر**
 ابن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون ابو زيد ولي الدين الحصري
 الاشيلي كذا املي على نسبه واحال على ما ذكره بن حزم في كتاب الجهم
قاضي الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم في كتاب جهمي
 الانساب ويقال ان حضر موت هو ابن يقطن اخي لخطان منهم وايل بن حجر
 له حجة وهو وايل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وايل بن النعمان بن ربيعة
 بن الحرث بن ملك بن مرة بن حمير بن زيد بن الحصري بن عمر بن عبد الله بن هاني
 بن عوف بن حوشم بن عبد شمس بن زيد بن لاوي بن شيبان بن قدامة بن العجب بن
 ملك بن لاوي بن لخطان وابنه علقمة بن وايل وعبد الجبار بن علقمة بن وايل

ديها

صورة الصفحة التي تبدأ بها ترجمة ابن خلدون في السطر الحادي والعشرين

مصنفه بعد قوله العسقلاني ورقة بياض ثم كتب ما صورته :

ومن احسن شعره :

سقت جفوني مغاني الربع بعدهم فالدمع وقف على اطلاله الجون
وبعدها حاشية بخط آخر تقول (الله اعلم ان المصنف رحمه الله أراد ان يبدأ باحوال
ابن خلدون في تلك الورقة وما قدر له فلذلك نقلت ترجمة ابن خلدون المذكور من انباء
العمر لابن حجر العسقلاني ثم يذكر الترجمة) والظاهر انه حدث خطأ في النسخ أو التجليد ،
لان هذا القسم من ترجمة ابن خلدون متقدم على القسم الاكبر من الترجمة والذي يبدأ
بنسبه وحياته وينتهي بأول هذه القصيدة ، ويظهر ان الأوراق التي تحتوي هذا القسم
وضعت في غير موضعها . ولكن المفيد في الأمر اننا عرفنا ان هذه النسخة نسخت عن
خط المؤلف مما يجعل قيمتها كبيرة .

ولقد تم نسخ الجزء الثاني في ١٧ شوال سنة ٨٧٨ هـ (٧ آذار ١٤٧٤ م) بيد أحمد بن
محمد التلواني الأزهري . وهي قريبة عهد بالمؤلف إذ تم نسخها بعد ٣٣ سنة من وفاته . ويظهر
في اللوحة المرفقة صورة الصفحة التي ابتدأت فيها ترجمة ابن خلدون .

ولدى دراسة الترجمة ومقارنتها بترجمة ابن خلدون لنفسه (التعريف بابن خلدون) نجد
انها مختصرة عن التعريف وفيها كثير من الجمل مأخوذة عنه . وقد أشرنا في الحاشية الى
الصفحات التي تحتوي المعلومات المماثلة في التعريف . وفيها بعض الإضافات القليلة عن
مرض ابن خلدون وعن توليه القضاء في آخر حياته وعن ما قاله ابن الخطيب فيه في كتاب
الاحاطة في أخبار غرناطة ثم قصص وروايات عن لسان ابن خلدون يحتوي بعضها أموراً
عجيبة .

ولقد اجتمع المقرئون بابن خلدون أثناء بقاءه في مصر من سنة ٧٨٤ إلى حين وفاته
سنة ٨٠٨ ، وكان آنذاك في شبابه إذ ولد المقرئ سنة ٧٦٦ هـ وتوفي سنة ٨٤٠ هـ وظهر

من الترجمة اعجاب المقرئ بابن خلدون الأمر الذي عابه عليه ابن حجر والسخاوي .

وفيما يلي ترجمة ابن خلدون كما كتبها المقرئ :

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد
ابن عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الأشبيلي^(١) . كذا أُملي علي نسبه
وأحال علي ما ذكره ابن حزم في كتاب الجهرة . قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
ابن حزم في كتاب جهرة الأنساب : ويقال ان حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان ،
منهم وايل بن حجر له صحبة ، وهو وايل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وايل بن النعمان
ابن ربيعة بن الحرث بن ملك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمر بن عبد الله
ابن هاني بن عوف بن حرشم بن عبد شمس بن زيد بن لاوي بن شيت بن قدامة بن
أعجب بن ملك بن لاوي بن قحطان . وابنه علقمة بن وايل وعبد الجبار بن علقمة بن
وايل . ويذكر بنو خلدون الأشبيليون انهم من ولده وكان من أكابرهم أبو هاني
كريب وأبو عثمان خالد القاهاني بأشبيلة اللذان قتلها إبراهيم بن حجاج اللخمي ، وها
ابنا عثمان بن عثمان بن خالد المعروف بخلدون الداخل من المشرق بن عثمان بن هاني
ابن الخطاب بن كريب بن معدى كرب بن الحرث بن وايل بن حجر المذكور . ولم
يبق من ولده أحد غير محمد وأحمد وعبد الله بنو أبي العاص المذكور ، والفيلسوف المشهور
أبو مسلم عمر بن محمد بن تقي بن عبد الله بن بكر بن خلدون بن عثمان بن خلدون
بن عثمان بن خالد بن عثمان بن خالد الداخل وهو خلدون ، وأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
ابن عبد الله بن بكر المذكور ، ومحمد بن عبد الله المذكور وهو جد أبي مسلم لأمه . ولم يبق
من ولد كريب الرئيس المذكور أحد إلا أبو الفضل محمد بن خلف بن أحمد بن عبيد الله
ابن كريب المذكور . انتهى ما قال محمد ابن حزم .

(١) أنظر التعريف ص ١ .

والذي يغلب على الظن ان بين عبد الرحمن وبين خلدون عدة آباء ، فان خلدون أما أن يكون قدومه من المشرق على الاندلس في الفتح فيكون دخوله في سنة اثنين وتسعين من الهجرة وأما أن يكون دخوله مع طوابع بلج وذلك في سنة اثنين وعشرين ومائة ، وعلى كلا الأمرين فلا بد أن يكون بينها عدة آباء ، فان القاعدة إذا جهلت الآباء وعرفت السنوات أن يجعل لكل مائة من السنين ثلاثة آباء ، وبين شيخنا أبي زيد وبين خلدون نحو سبع مائة عام ينوبها بحكم القاعدة أحد وعشرون أباً ، وهو لم يذكر من آباءه إلى عبد الرحمن سوى عشرة فعلى هذا يبقى من آباءه بعد ذلك نحو أحد عشر أباً ، لأننا نجعل مع ذلك الآباء العشرة أباً زيد و خلدون ، والقاعدة أدت إلى أن عدد ما بين أبي زيد و خلدون أحد وعشرون فاذا عرفت منهم اثني عشر يبقى تسعة والله أعلم .

أوليه (١)

لما دخل خلدون إلى الأندلس نزل بقرمونة في نفر من حضرموت ونشأ أبوه بها ، ثم استوطنوا اشبيله وكانوا في جند اليمن ، ثم انتقلوا إلى سبته ، وقصد الحسن بن محمد الأميراً زكريا يحيى بن عبد الواحد أبي حفص صاحب أفريقية فأكرم قدومه ، وارتحل إلى المشرق فخرج ورجع فاستقر في ظل دولة الأمير أبي زكريا فأقطع له اقطاعاً وفرض له رزقاً إلى أن مات ، فنشأ ابنه محمد بن الحسن في جو تلك النعمة ومرعاهها وصرّفه الأمير أبو اسحق في عمل الأشغال في الدولة فانفرد بولاية العمال وعزلهم وحسابهم على ما يحب فاضطلع بتلك الرتبة ، ثم عقد الأمير أبو اسحق لابنه محمد بن محمد بن الحسن على حجابة ولي عهده ابنه الأمير أبي فارس ثم أعفاه ومات ، فعزل ابنه محمد بن محمد عن طريقة السيف والجندية إلى طريقة الرباط فنشأ ابنه محمد بن محمد بن محمد مائلاً إلى الطلب فتقدم وبرع في علم العربية والبصر بنقد الشعر وفنونه ، ومات في سنة تسع وأربعين وسبع مائة وترك

(١) أنظر التعريف ص ٤ .

أولاداً منهم أبو زيد عبد الرحمن .

قال العلامة لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي السلماني في كتاب الاحاطة بتاريخ غرناطة ، بعد ما ذكر ما تقدم من نسب أبي زيد ذرية عثمان أخي كريب الذكور في بهاوار الأندلس وينسب سلفهم الى وايل بن حجر . قال وانتقل سلفه من اشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة عند الحادثة بها ، وأقبل ذلك فاستقر بتونس منهم ثالث المحمدين محمد بن الحسن ، وتناسلوا على سراوة وحشمة ورسوم حسبية ، وتصرف جد المترجم به لملوكها في قيادة الجيوش .

حاله وصفه

قال في الاحاطة : هذا الرجل الفاضل جم بالفضل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحيا ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصي الزي ، عالي الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب العادة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم في الفنون العقلية والنقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغري بالتجلة ، جواد حسن العشرة ، مبذول المشاركة ، مقيم لرسم التعين ، عاكف على رعي ظلل الاصاله ، مفخر من مفاخر التخوم المغربية .

وقال كاتبه : هو النخبة التي قل أن يأتي بمثلها الدهر ، وهو التاج الذي علا قم رؤساء العصر ، بما انطوى عليه من غزير المعارف والعلوم ، وتحلى به من بديع المدارك والفهوم ، وتجمل به من المنظر الجميل ، واشتمل عليه من الخلق الكريم والفضل الجزيل ، وقوة النفس الأبية ، والتفنن في اللغات العربية ، إن تجلى وجهه قلت البدر سناء وسنا ، أو خطر قده فما سمر القنا ، أو تكلم في العلوم جاء البحر الذي لا يتوسط ثبجه ، ولا تخاض لعظمة لججه ، الى غير ذلك من عظيم الحشمة والوقار ، وجليل الهيبة والفخار ، يجمع الى حسن الوجه والملاحة ، رصانة العقل والرجاحة ، مع الغاية في فصاحة المنطق وبداعة المحاضرة ،

وعدوية المحادثة والمسامرة، وكثرة الأدب وحسن المعاشرة، وتقدير ينابيع العلوم والمعارف عند المذاكرة، وشجاعة القلب والاقدام، والثبات عند ارتعاد الفرائض ومزال الاقدام، والحظوة عند ملوك الاقطار، والقبول التام من جماهير أهل الأمصار، تقلد الاعمال الشريفة، والخطط الرفيعة المنيفة، من زمن الصبا والصغر، الى وقت الكهولة وسن الكبر، في جميع الاقطار المغربية، والبلاد الافريقية، والشعور الأندلسية، ثم في الديار المصرية، والبلاد الشامية، إلا انه لكثرة فضله، وعظيم سيادته ونبله، لم يعد قط عدواً ولا حاسداً، ولم يفقد في حال من الأحوال ضداً معانداً، والله در معن بن زائدة إذ يقول:

اني حسدت فزاد الله في حسدي لاعاش من عاش يوماً غير محسود

ما محسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف أو بالباس والجود

وبالبدائع هذا الخبر ما أعلاها، ولمفاخره وما أثره ما أجلها وأسناها.

مُسَخَّنَةٌ (١)

قرأ القرآن الكريم على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن سعد بن برّال الأنصاري بالقراءات السبع أفراداً وجمعاً في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها في ختمة واحدة أخرى، ثم قرأ ختمة برواية يعقوب جمعاً بين الروایتين عنه، وعرض عليه قصيدتي الشاطبي اللامية والرائية وكتاب التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر، ودرس كتاب التسهيل في النحو لابن مالك ومختصر ابن الحاجب الفقهي. وأخذ العربية عن أبيه وعن أبي عبد الله محمد بن المغربي الحصائري وأبي عبيد الله محمد بن الشواس الزرّزالي وأبي العباس أحمد بن القصار وأبي عبد الله محمد بن بحر ولازم مجلسه وأشار عليه بحفظ الشعر، فحفظ المعلقات وحماسة الأعمى وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي وكتاب سقط الزند لأبي العلاء المعري، وسمع صحيح مسلم بتونس الافوتا يسيراً من كتاب الصيد، وسمع موطأ مالك رحمه الله على أبي

(١) انظر التعريف ص ١٥ - ٢٣.

عبد الله محمد بن جابر بن سلطان الفيسي الوادياشي وأجازه اجازة عامة ، وأخذ الفقه بتونس عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبي القاسم محمد بن القصير وقرأ عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي وغيره وعليه تفقه ، وانتاب مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام وأفاد منه وسمع عليه ، وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن سليمان الطّسّي وأبي محمد عبد المهيمن الحضرمي وأبي العباس أحمد الزواوي ، واستفاد من القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي وأخذ عنه الأصلين والمنطق وسائر الفنون الحكيمة والتعليمية ولازمه وبرع عليه حتى لقد كان يشهد له بالتبريز في ذلك والتقديم ، ولازم في ابتداء أمره مجلسه ثلاث سنين وكثيراً ما كان يحدثنا عنه .

(١) ومباهته

لم يزل منذ ولد بمدينة تونس في يوم الاربعاء أول يوم من شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة الى أن مات ، نشأ مكباً على تحصيل العلم ، حريصاً على اقتناء الفضائل ، إلى أن كان الطاعون الجارف في سنة تسع وأربعين وسبع مائة وذهب بالأعيان والصدور ومات أبواه ، فاستدعاه أبو محمد ابن تافراكين المستبد إذ ذاك بتونس الى كتابة العلامة عن سلطانه أبي اسحاق ابراهيم بن السلطان أبي بكر خامس الملوك الحفصيين بتونس ، فكتب العلامة عن السلطان وهي وضع (الحمد لله والشكر لله) بقلم غليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم .

ثم انصرف عن تونس ووطنه ومنشأه عام ثلاثة وخمسين ، وقد عرف فضله ، فخطبه السلطان أبو عنان فارس بن علي بن عثمان فاستقدمه وأحضره مجلسه العلوي (٢) ، فعرف حقه وأوجب فضله ، وصرفه في الكتابة والتوقيع بين يديه أوائل عام ستة وخمسين واختصه ،

(٢) ص ٥٨ .

(١) انظر التعريف ص ٥٥ .

فارتفعت السمايات به ، وكثر المنافسون ، وعظم حمل الخاصة من طلبية الحضرة عليه ، لبعده عن حسن التآتي وشفوفه بتفوق الفهم وجودة الادراك ، فاغروا به السلطان إغراء عضده ما جُبيل عليه أبو زيد من اغفال التحفظ مما يريب لديه بأن صادق الأمير عهداً صاحب بجاية من الموحدين^(١) وداخله مداخلة غفل عن التحفظ فيها من غيرة السلطان ، فلما شغل أبو عنان بمرضه ، نمّ اليه الغواة والحسدة أن أمير بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده ، وقد كان فيها يومئذ وزير أبي عنان عبد الله بن علي ، وأن أبا زيد ابن خلدون عاقده على ذلك ليكون حاجبه ، فانبعث أبو عنان لذلك وقبض عليهما ، واعتقل أبا زيد في أوائل سنة ثمان وخمسين وقد تكدر جوه عند السلطان واشتد حنقه عليه حتى أراد به بنكبة وشدة لم يخلصه فيها سوى أجله ، فبقي في الاعتقال إلى أن مات أبو عنان نحو عامين ، وهو على سنن الأشراف من الصبر وعدم الخشوع وإهمال التوسل وابائه لمكسوب في سبيل النفقة ، فلما أفضى الأمر إلى ولد أبي عنان بادر القسائم بدولته الوزير الحسن بن عمر إلى إطلاقه في آخرين ، وخلع عليه وحمله وأعادته إلى مكان عليّة ، وعامله بوجوه من كراماته ومذاهب احسانه ، إلى أنتقض أمره وانفض عنه بنو مرين^(٢) فلحق أبو زيد بالسلطان أبي سالم^(٣) ، فلما غلب على الملك رعى له السابقة وولاه كتابة السر والانشاء ، فصدر عنه أكثرها بالكلام المرسل الذي انفرد به في هذا العصر ، وحاكى طريقة عبد الحميد بن يحيى الكاتب والصابي والجاحظ وما أدراك ما أولئك . واستمر على ذلك مفوضاً اليه أيضاً حطة المظالم ، حتى زالت دولة أبي سالم وقام الوزير عمر بن عبد الله بالأمر ، فأقره على ما كان عليه ووفر اقطاعه وزاد في جراته .

ثم تنكرت الحال بينه وبين الوزير فقارق فاس ولحق بالأندلس ، فقدم غرناطة^(٤) ثامن

(١) انظر التعريف ص ٦٦ . (٢) ص ٦٨ . (٣) ص ٦٨ - ٧٠ ، ص ٧٧ .

(٤) ص ٨٢ و ٨٤ .

شهر ربيع الأول سنة أربع وستين فاهتز السلطان ابن الأحمر لقدمه ، وهياً له المنزل من قصوره بفرشه وماعونه ، وأركب خاصته للقاءه ، ثم خلع عليه عند مثوله بين يديه ، وخرج الوزير ابن الخطيب مشيعاً له إلى مكان نزله ، وخطبه ابن الخطيب بقطعة من نظم وثرمنها :

حللت حلول الغيث في البلد المحل على الطائر الميمون والرحب والسهل
يميناً بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المهدد والكهل
لقد نشأت عندي للقياك غبطة تنسي اغتباطي بالشبيبة والاهل

ثم ان السلطان نظمه في علية اهل مجلسه ، واختصه بالمناجاة في خلوته ، والمواكبة في ركوبه ، والمواكلة والمطايبة والمفاكحة في اوقات انسه ، واقام على ذلك إلى ان سافر عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية بمدينة اشبيلة^(١) ، فعامله من الاكرام بما لا مزيد فوقه ، وظهر الاغتباط بمكانه ، وعلم باولية سلفه باشبيلية ونباهة قدرهم ، ورأى قرطبة ثم انصرف^(٢) ، وقد زوده الطاغية وحمّله واختصه ببغلة فارهة بمركب ولجام ذهبيين، ووصل الى السلطان ابن الاحمر بالجواب ، واقام عنده على حال العزازة والكرامة والاختصاص ، فلم تلبث الاعداء واهل السعيات ان خيّلوا للوزير ابن الخطيب من ملابسة ابي زيد السلطان واشتماله عليه ، وحرّكوا له حوار الغيرة فتنكر ، واشتم منه ابو زيد رائحة الانقباض فبادر إلى الارتحال عن الاندلس^(٣) .

وفي اثناء ذلك وردت عليه كتب السلطان ابي عبد الله صاحب بجاية^(٤) ، بانه قد استولى ويستدعيه لحضرته ، فاستاذن ابن الاحمر في الرحلة ، وعمى عليه شأن ابن الخطيب ابقاء لمودته ، فارتضى لذلك ولم يسعه الا الاسعاف ، فودّع وزود وكتب مرسوماً بالتشجيع ، فركب البحر للنصف من سنة ست وستين ونزل بجاية^(٥) خامس

(١) أنظر التعريف ص ٨٤ و ٨٥ . (٢) ص ٨٥ . (٣) ص ٩١ .

(٤) ص ٩١ . (٥) ص ٩٧ و ٩٨ .

الاقلاع ، فاحتفل سلطان بجاية لقدمه ، واركب اهل دولته للقاءه ، وتهافت اهل البلد عليه من كل اوب ، يمسحون اعطافه ويقبلون يده ، وكان يوماً مشهوداً . ولما وصل إلى حضرة السلطان حياه وخلع عليه وحمله ، وأمر من الغدا اهل الدولة بمباكرة باب دار ابي زيد ، فاستقل بمحمل الملك ، واستغرخ جهده في سياسة الامور وتدبير الاحوال ، وقدم مع ذلك لخطابة الجامع ، ولم يشغله عن تدريس العلم بعد انصرافه من تدبير الملك ، غدوة كل يوم الى أثناء النهار لا ينفك عن ذلك .

فلما قتل السلطان أبو عبد الله ، وقام بعده ابن عمه السلطان أبو العباس ^(١) . عامل أبا زيد بوافر الاحسان وعظيم الكرامة ، وأجرى أحواله كلها على معهودها ، فكثر السعاية عنده بأبي زيد حتى أحس بذلك ، فطلب الإذن بالانصراف من السلطان فأذن له بعد لأي ، وخرج يريد المغرب ، فتلقيه كتاب السلطان أبي حمو صاحب تلمسان ^(٢) ، يستدعيه لحجابه وعلامته ، وهو ببلد بسكرة ، وفي طي الكتاب مدرجة بخط السلطان نصها : (الحمد لله على ما أنعم ، والشكر لله على ما وهب ، ليعمل الفقيه المكرم أبو زيد عبدالرحمن ابن خلدون حفظه الله ، على انك تقصد إلى مقامنا الكريم ، لما خصصناكم به من الرتبة المنيفة والمنزلة الرفيعة ، وهو قلم خلافتنا والانتظام في سلك أوليائنا ، أعلمناكم بذلك) وكتب بخط يده (عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وآخا له) وبقيّة الكتاب بخط الكاتب . فبعث أخاه يحيى كالنائب عنه متفادياً من السلطان طالباً للاعفاء فوصل اليه واكتفى به ^(٣) .

وتردد أبو زيد في مفاوز العرب وحل بحلهم واختلط بمجملتهم في باديتهم ، متصرفاً أحياناً في مهمات السلطان وآونة في الإقامة مع أهله وولده الى أول سنة أربع وسبعين فاستدعاه السلطان عبد العزيز صاحب المغرب ^(٤) من بسكرة الى القدوم إلى حضرة

(١) انظر التعريف ص ٩٩ . (٢) ص ١٠٢ . (٣) ص ١٠٣ . (٤) ص ١٣٥ .

ملكه بمدينة فاس ، فخرج من بسكرة يؤم دار الملك فاس^(١) ، فأصابته بطريقه شدة
أذهبت المال حتى بقي عارياً يومين في البرد ، ومن حينئذٍ حدث له وجع في أعضائه ما برح
يتألم منها حتى مات ، وكادت هذه الشدة تأتي على النفس لو لا لطف الله وجميل صنعه .

ومات السلطان عبد العزيز قبل قدومه عليه ، فدخل فاس في جمادي من سنة أربع
وسبعين ، فأكرمهم الوزير أبو بكر بن غازي القائم يومئذ بدولة بني مرين ، ووفر
جرايته وإقطاعه ، وأقام بمكانه في دولتهم أثير المحل ، نابه الرتبة ، عريض الجاه ، منوه المجلس
عند السلطان السعيد أبي بكر بن عبد العزيز إلى أن خلع ، وملك بعده السلطان أبو العباس
ابن عمه ، فأغراه الوزير محمد بن عثمان به حتى قبض عليه ثم أطلقه^(٢) فسار إلى مراکش ،
ورحل منها إلى الأندلس^(٣) ، فدخلها في شهر ربيع سنة ست وسبعين فلقية سلطانها بأفضل
البر وأجل الكرامة ، وأحسن النزل على عادته ، فساء أهل الدولة بنقاس ذلك ، وما زالوا
بابن الأحمر صاحب الأندلس حتى أوحشوه منه ، وطلبوا منه أن يسيره إلى تلمسان ، فجازره
إليها ، وسار حتى دخلها والجو مظلم بينه وبين سلطانها أبي حمو ، بما كان من إجلا به العرب
عليه مشايعة للسلطان عبدالعزيز المريني ، فأراد به سوء ثم صرفه الله عن ذلك لعزل محمد
ابن عريف ولومه له ، عادة من الله تعودها من جميل الصنع وخفي اللطف .

وما زال بتلمسان مع أهله وولده يبت العلم وينشره إلى أن تخيل من السلطان فخرج منها
ولحق بأخياء أولاد عريف^(٤) في البادية فتلقوه بالكرامة والبر ، فكث بين أظهرهم مع
أهله وولده أربعة أعوام ، متخلياً عن الشواغل كلها ، فارغ البال من مقابلة السلطان
ومقارعة الأعداء ، فشرع حينئذٍ في تأليف كتاب عنوان العبر ، وأكمل مقدمته في تلك
الخلوة . ثم ارتحل عنهم في شهر رجب سنة ثمانين يريد تونس ، جوه الذي ربي فيه ، وعشه

(١) انظر التعريف ص ٢١٦ — ٢١٨ .

(٢) ص ٢٢١ و ٢٢٥ .

(٣) ص ٢٢٦ و ٢٢٧ .

(٤) ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .

الذي درج منه ، فسلك القفراء الى سُوسه ، فلقى بها أبا العباس سلطان تونس^(١) والخليفة بزعمهم ، فبر مقدمه وبالغ في تأنيسه ، وشاوره في مهمات أموره ، وجهزه الى تونس ، وقد أوعز إلى نائبه بها ان يهيء له منزلاً ويقوم بكفايته من الجراية والعلوفة وغيرها . فوصل إلى تونس في شعبان سنة ثمانين وتقياً وارف ظل العناية من السلطان ، واجتمع شمله بما له من أهل وولد في مرعى تلك النعمة ، وألقى عصا التسيار .

ولما قدم السلطان إلى تونس^(٢) ، استدناه لمجالسته ، وناجاه في خلوته ، فقصّ بطاقته بذلك ، وأفاضوا في السعايات فلم تنجح ، وثار لمساعدتهم على عتوهم وبغيهم شيخ الفتيان إذ ذاك بتونس محمد بن عرفه غيرةً وحسداً ، فاتفقوا على التآليب والسعاية والسلطان معرض عنهم ، وقد كلفه بالأكباب على تكملة كتاب عنوان العبر فأكملاه ، ورفع إلى الخزانة السلطانية منه نسخة . وأخذ السعاة في كل نوع من الاغراء والسعاية عند السلطان ، وأخذ هو في الاعتمال في الترحل الى المشرق ، وتوسل الى السلطان في الاذن بذلك لقضاء فرض الحج حتى أذن ؛ فسار من تونس راكباً لشبج البحر منتصف شعبان سنة أربع وثمانين .

فوصل ثغر الاسكندرية^(٣) يوم عيد الفطر ، ودخل إلى القاهرة ذي القعدة سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، فانشال عليه طلاب العلم وكان عددهم حينئذ موفوراً ، وبصدورهم من اجلاله وتعظيمه شيئاً كبيراً^(٤) ، فالتمسوا منه الافادة ، فأجابهم إلى ذلك وانتصب للتدريس بالجامع الأزهر^(٥) ، وأقرأ كتاب ابن الجاجب في الأصول ، فاغتنب الناس به وسرهم قدومه وراقهم ما لديه من المعارف والعلوم . ثم اتصلوا بالأمير الطنبغا الجُوماني فأعجب به إعجاباً كثيراً ،

(١) أنظر التعريف ص ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٥ . (٢) ص ٢٣٢ و ٢٣٣

(٣) ص ٢٤٦ . (٤) كذا في النسخة وصحيفة شيء كبير .

(٥) ص ٢٤٨ .

وتخصص بصحبته ، فجمع بينه وبين السلطان الملك الظاهر برقوق ، فأبرّ لقاءه وأنسه ،
ووفر جرايته واقطاعه ، وولاه تدريس المدرسة القمحجية بجوار جامع عمرو بن العاص من
مدينة مصر ، وهي أجل مدارس الفقهاء المالكية بديار مصر^(١) .

وأقبل الناس على اختلاف طبقاتهم يهرعون إلى بابه ، ويترامون على صحبتته ويتنافسون
في الاجتماع ، به إلى أن قلده السلطان قضاء القضاء المالكية^(٢) بديار مصر ، في يوم الاثنين
تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ، فقام بذلك قياماً محموداً ، ودفع رسائل
الأمراء وردّ شفاعات الأكابر وأمضى أحكامه كما يريد ، وتثبت في سماع البينات ، وخص
عن عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات وعاقب طائفة منهم على تزوير ظهريه ، وأوجع في
عقابهم ونكل بهم وشهرهم ، ومنع عدة من تحمل الشهادة ، فكثرت الجمل عليه وامتلات
صدور الكثير من الحقد والغيط ، فنالوا من عرضه ، وقبحوا القول فيه بسوء الاحدوثة
عنه ، واختلقوا الافك وقول الزور ، يبثونه في الناس ، ويدسون الى السلطان التظلم منه ،
والشكوى في خلوه من حسن التأني ، وقلة المعرفة بمصطلح الناس وعوائد مصر ،
وكثرة العسف وشدة البطش ، والوقوف على رأي نفسه وعدم الانقياد ، وكثرة الالباء عن
الرجوع إلى المداراة . وأشدّهم في ذلك رفقاؤه من القضاة وشيعتهم ، فأصبح الجميع عليه
البا ، ونصبوا بأسرهم له عداوةً وحرباً ، وصاروا لمن ينادي بالتأفف منه والنكير عليه
عوناً ، وغدوا في الشناعة والجهر بالسوء من القول فيه أمة ، فانطلقت الألسنة وارتفع
الصخب ، وثار الخصوم من الشهود الممنوعين ومن جرت عليهم أحكامه ، يغرون أرباب
الدولة ، ويتنادون بالتظلم وتبشيع القول وتشنيع الحكايات ، حتى وصل الى السلطان
طرف من ذلك ، فصرفه يوم السبت سابع جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وسبع مائة ، فأقام
في منزله على حال رفعة وعز من ترداد وجوه البلد اليه وتطارحهم عليه . إلى أن توجه الى

(٢) ص ٢٥٤ — ٢٦٠ .

(١) انظر التعريف ص ٢٥٣ و ٢٧٩ .

الحج^(١) في عام تسعة وثمانين فقضى النسك وعاد إلى القاهرة ، فما زال في داره على الغاية من محبة الناس والوفور من العز ، إلى أن عن السلطان أن يعيده إلى منصب القضاء^(٢) من غير أن يعينه أحد ، وكان قد سار إلى الحنبوشية وقف المدرسة القمحية ، فسرّح البريد لاحضاره ، فلما قدم قلده قضاء القضاة في يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة إحدى وثمان مائة ، واتفق موت السلطان في النصف من شوال فأقره الأمير الكبير انتمش ، فلما سار الملك الناصر خرج لمحاربة الأمير تنم^(٣) نائب الشام ، سافر ودخل دمشق وحكم بها ثم عاد مع السلطان ، وما زال إلى أن صرف يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وثمان مائة .

فلزم داره إلى أن خرجت العساكر مع السلطان الملك الناصر لمحاربة الأمير تيمورلنك^(٤) فالتقى منه الأمير يشبك أن يسير مع العسكر فاجابه وسار معهم إلى دمشق ، فقدّر الله انهزام السلطان والأمراء من تيمور إلى القاهرة ، فتأخر بدمشق ، وعندما احاط تيمورلنك بها بادر إلى لقائه^(٥) ، وتدلّى من السور بحبل ، وخالط العساكر وطلب منهم أن يوصلوه بالأمير تيمور فساروا به واستأذنوا عليه فاذن له وأمر باحضاره ، فاعجبه حسن هيئته وجمال صورته ، وخلبه بعذوبة منطقته ، ودهاه بكثرة مغالاته في اطرائه ، فاجلسه واستدناه ، وشكر له سعيه ، وأخذ في تأنيسه ومؤانسته ومؤاكلته ، واكثر من سؤاله عن احواله وعن ولده ، ثم ذاكره باخبار الملوك الماضية والقرون الخالية ، فدهش لكثرة استحضاره وخامر عقله ما راقه من مسامرتة ، فامر بانزاله معه في الخيم ، وكلفه املاء كتاب يتضمن احوال البلاد والاماكن التي بين مصر وبلاد الغرب ، وما هناك من المفاوز والمياه وقبائل العرب ومقدار المسافات فلم (يكن) باسرع من أن كتب له ديواناً في ذلك ، بديع مثاله بعيد

(١) انظر التمرّيف ص ٢٦١ . (٢) من ٣٤٧ . (٣) ص ٢٤٧ — ٣٤٩ .

(٤) ص ٣٦٦ — ٣٧٠ و ٣٧٤ .

(٥) انظر كتاب لقاء ابن خلدون لتيمورلنك تأليف والترج . فيشل وترجمة محمد توفيق .

مناله ، فزاد اعجابه به وحل منه محلا لم يحله من تيمور أحد ، بحيث انه اجلسه فوق ابنه ، وقال له مرة في الملاء انت عيني .

فلما استولى تيمور على مدينة دمشق اذن له في المسير إلى القاهرة ^(١) وزوده ، واطلق من الأسر جماعة من وجوه كتاب مصر واعيانها على انهم خدمه ، فقدم إلى القاهرة ، وتلقاه اهل الدولة بالكرامة ، واقام بداره ، إلى أن استدعي واعيد إلى القضاء ^(٢) مرة ثالثة يوم السبت ثالث عشرين شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين مائة ، ثم صرف في رابع عشرين شهر رجب سنة اربع وثمانين مائة ثم اعيد يوم الخميس لاربع بقين من ذي الحجة هذه السنة ، ثم صرف يوم الاثنين سابع شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين مائة ثم اعيد في شعبان سنة سبعة وثمانين مائة ، وصرف في سادس عشرين ذي القعدة منها ، ثم اعيد في شعبان سنة ثمان وثمانين مائة ، فلم تطل مدته ، ومات وهو قاضٍ موتاً وحياء من غير تقدم مرض سوى انه ثار به ما كان يعتريه من وجع الاعصاب في يوم الاربعاء لاربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين مائة ، احوج ما كان إلى الموت ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر ، وله من العمر ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوماً ، رحمه الله بماذا نفعي الله به .

شعره :

قال في الاحاطة : واما نثره وسلطانياته السجعية ومرسله نخلج بلاغة ورياض فنون ومعادن ابداع ، يفرغ عنها يراعه الحر في شبيه البداءات بالخواتم في نداوة الحروف ، وقرب العهد بجزية المداد ، ونفوذ أمر القريحة واسترسال الطبع . واما نظمه فنهض بهذا العهد قدماً في ميدان الشعر ونقده باعتبار اساليبه ، فانثال عليه جوه وهان عليه صعبه فأتى منه بكل غريبة ، منها قوله يخاطب به السلطان ملك الغرب ليلة الميدان الكريم من

(٢) ص ٣٨٣ .

(١) انظر التعريف ص ٣٧٩ .

عام اثنتين وستين وسبع مائة من قصيدة طويلة (١) :

اسرفن في هجري وفي تعذيبي
وابين يوم البين وقفة ساعة
لله عهد الظاعنين وغادروا
غربت ركبائبهم ودمعي سافح
ياناقعاً بالعتب غلة شوقهم
يستعذب الصب الملام وانني
ما هاجني طرب ولا اعتاد الجوى
اهتموا إلى الاطلاع كانت مطلعاً
عبثت بها أيدي البلاء وترددت
تبلى معاهدها وان عهودها
واذا الديار تعرضت لمتيّم
ايه على الصبر الجميل فانه
لا انسنا والدهر يثني صرفه
والدار موقفة محاسنها بما
ياسائق الاضعان يعتسف الفلا
متهافياً عن رحل كل مذل
بتجاذب النفحات فضل دراية
ان هام من ظمأ الصبابة صحبة
او يعترض مسراهم سدف الدجى

واطلن موقف عبرتي ونحيبي
لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
قلبي رهين صبابة ووجيب
فشرقت بعدهم بماء غروب
رحاك في عذلي وفي تأنيب
ماء الملام لدي غير شريب
لولا تذكر منزل وحبيب
للبدن منهم او كناس ربيب
في عطفها للدهر أي خطوط
ليجدتها وصفي وحسن نسيب
هزته ذكراها إلى التشبيب
ألوى بدين فؤادي المنهوب
ويغض طرفي حاسد ورقيب
لبست من الايام كل قشيب
ويواصل الاساد بالتأويب
نشوان من اين ومس لغوب
في ملتقاها من صبا وجنوب
نهلوا بمورد دمعهم المسكوب
صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

(١) في التعريف ص ٧٠ — ٧٤ أبيات أخرى .

في كل شعب منيه من دونها
هلا عطفك صدورهن إلى التي
فتوم من اكناف يثرب مأمناً
حيث النبوة ايها مجلوة
سر عجب لم يحجبه الثرى
وهي طويلة جداً .

وقال يخاطب السلطان ابا عنان وهو في اعتقاله يستعطفه من قصيدة نحو مائتي
بيت . منها ^(١) :

على أي حال للزمان اعابُ
واني على دعوى شهودي غائب
تسلمني طوراً وطوراً تحارب
ومنها :

سلوتهم إلا اذكار معاهد
وان نسيم الريح منهم يشوقني
وقال في يوم الفطر سنة ثلاث وستين ، يخاطب الوزير مسعود ماساي وزير صاحب
فاس ، لما طلب منه الاذن بالرحيل فابى عنه ^(٢) :

هنيئاً بصوم لا عداه قبولُ
وهنيئاً من عزة وسعادة
سقى الله دهرأ انت انسان عينه
فعصرك ما بين الليالي مواسم
وبشرى بعيد انت فيه منيل
تتابع اعوام بها وفصول
ولا سيق ربعا في حماك محول
لها غرر وضاحية وحجول

وجانبك المأمول للوجود مترع
عساك وان ضن الزمان منولي
اجرتني فليس الدهر لي بمسلم
واوليتني الحسنى بما انا آمل
ووالله ما رمتُ الترحل عن قلى
ولا رغبة في هذه الدار انها
ولكن نأى بالشعب عني حباب
يخرج من الوجد اني نازح
عزيز عليهن الذي قد لقيته
توارت بانبأى البقاع كانني
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى
أحبابنا والعهد بيني وبينكم
اذا انا لم ترض الحمول مدامعي
الى مَ مقامي حيث لم ترد العلى
اجادت فضل العمر يوماً وليلة
ويذهب بي ما بين ياس ومطمع
تعللني عنه امان خوادع
اما الليالي لا ترد خطوبها
يروعني من صرفها كل حادث
اداري على الرغم العدى ، لا لريبة

يحول عليه عالم وجهول
فرسم الاماني من سواك محيل
اذا لم يكن لي في ذراك مقيل
فمثلك يولي راجياً وينيل
ولا سخطه للعيش فهو جزيل
لظل على هذا الانام ظليل
شجاهن خطب للفراق طويل
وان فؤادي حيث هُنّ حلول
وان اغترابي في البلاد يطول
تخطفنت أو كالت ركابي غول
فطارت بقلبي انة وعليل
كريم وما عهد الكريم يحول
فلا قربتني للقاء حمول
مرادي ولم تعط القياد ذلول
وساء صباح بينها واصول
زمان ينيل المعلوات بخيل
ويؤنسني ليان منه مطول
ففي كبدي من وقعن فلول
يكاد له صمّ الجبال تزول
يصانع واش خوفها وعذول

واغدو باشجاني عليلًا كأنما
واني وان أصبحت في دار غربة
وصدتني الايام عن خير منزل
لا علم ان الخير والشر ينتهي
واني عزيز بابن ماسي مكث

تجود بنفسي زفرة وغليل
تحيل الليالي سلوة وتذيل
عهدت به الا يضام نزيل
مداه وان الله سوف يدل
وان هان انصار وبان خليل

وقال يمدح ابن الاحمر صاحب الاندلس من قصيدة طويلة جداً (١) :

حي المعاهد كانت قبل تحييني
ان الألى نزحت داري ودارهم
وقفت انشد ضيراً ضاع بعدهم
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل
احبابنا ، هل لعهد الوصل مذكر
مالي وللطيف لا يعتاد زائره
يا اهل نجد وما نجد وساكنها
اعندكم اني مامرّ ذكركم
اصبو الى البرق من انحاء ارضكم
يا نازحاً والمنى تدنيه من خلدي
اسلى هواك فؤادي عن سواك وما
ترى الليالي انستك اذكاري يا

بوا كف الدمع يرويها ويظميني
تحمّلوا القلب في اثارهم دوني
فيهم واسأل صبراً لا ينجيني
فالدمع وقف على اطلاله الجون
لو ان قلبي إلى السلوان يدعوني
منكم وهل نسمة عنكم تحييني
وللنسيم عليلًا لا يداويني
حسنًا سوى جنة الفردوس والعين
إلا انثيت كأنّ الراح تشيني
شوقاً ولولاكم ما كان يصبيني
حتى لا حسبه قرباً ينجيني
سواك بحال عنك يسليني
من لم يكن ذكره الايام تنسيني

وشعره كثير إلا أنه ضاع نهياً وغرقاً . ولقد شاهدته غير مرة يأنف من انشاد شعره

(١) في التعريف ص ٨٥ — ٨٨ أبيات اخرى من هذه القصيدة .

إذا استُشِيدَ فسألته عن ذلك فقال : لي بحمد الله معرفةُ بنقد الشعراء ولست ارضى شعري . وما رأيته قط انشد له شعراً ولا تكثر به رحمه الله .
تأليفه :

قال في الاحاطة : (شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحاً بديعاً دل على انفساح ذرعه ، وتفنن ادراكه وغزارة حفظه . وخلص كثيراً من كتب ابن رشد . وعلق للسلطان ايام نظره في العلوم العقلية تقييداً مفيداً في المنطق . وخلص محصل الامام فخر الدين بن الخطيب . وآلف كتاباً في الحساب . وشرع في شرح الرجز الصادر عني في اصول الفقه بشيء . لا غاية فوقه في الكمال) .

قال كاتبه : والف كتاب الوصف البديع الصفة المسمى عنوان العبير وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وهو لعمرى نادرة عجيبة ودرة بديعة غريبة ، سيما مقدمته التي لم يعمل عليه مثاها ، وانه لعزيز ان ينال مجتهد مناها . إذ هي زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة والفهوم ، توقفك على كنه الاشياء وتعرفك حقيقة الحوادث والانباء . كأنما تعبر عن حال الوجود ، وتنبيء عن اصل كل موجود ، بلفظ ابهى من الدر النظيم ، واعذب من الماء مر به النسيم .

ههنا شيخنا الاستاذ أبو زيد قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي الاشبيلي المالكي رحمه الله ، قال : حدثنا شيخ المغرب في المعقولات أبو عبد الله محمد الابلي قال حدثنا امام الوقت في علوم الاوائل أبو العباس ابن البناء أن بين دولة بني مرين الغانمين بالمغرب ملوك فاس وبين ملوك ترك الغانمين بديار مصر مناسبة ، لان الذي دل على ظهورها واستيلائهما في القران دليل واحد . قال واستغربنا ذلك فوجدناه كما قال فلا يستبد السلطان بمصر إلا ويستبد السلطان من بني مرين ، ولا يتغلب عليه قائم إلا ويكون مثل ذلك بالمغرب ، حتى انه ليقع بدولة بني مرين عند قتل المتغلب على السلطان من الترك بمصر

مثل ذلك . وساق شيخنا أبو زيد ذلك بين الدولتين إلى أن قال حتى إنه لما اختلت مملكة الملك الظاهر برقوق وقبض عليه وسجن بالكرك في سنة احدى وتسعين وسبع مائة قبض على أحمد بن أبي سالم ملك فاس وكبل .

حدثنا أبو زيد قال حدثنا الابلي انه جلس للاخذ عن ابن البنا بظاهر مراکش تحت شجرة ، فاذا هم خر طائر عندهم يقال له النُغَر ، فلما قلق الابلي من ذلك عمد ابن البنا إلى قطعة نخار ورسم عليها شيئاً ودفنها تحت تلك الشجرة ، فتطارت الاطيوار كلها عن الشجرة ولم تعد اليها بعد ذلك . قال وحضرت اليه بمراكش وهو إلى جانب بركة ماء فكان يؤذينا نقيق الضفادع التي فيها ، فاخذ شيئاً من الارض وكتب عليه ما أراد ورمى به في البركة فلم نسمع بعد ذلك للضفادع نقيقاً البتة . قال أبو زيد وجربت ان النار إذا وضعت بجانب بركة فان الضفادع تبطل نقيقها .

حدثنا أبو زيد أن من المجرب أن من قتل قرابته ابتلى بالسهر وحرم لذيذ النوم . حدثنا أبو زيد قال : حدثني السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر بن الاحمر الخزرجي الانصاري قال أخبرني الطاغية ملك قشتالة بطرُة بن الهنشة بن بطرُة بن اذفونش ان في سنة ثمان وستين وسبع مائة من سني الهجرة تغلب عليه اخوه القمط واستولى وانتزع منه الملك ، فلحق بسلطان الفرنجة الاعظم في ناحية الشمال من وراء جزيرة الاندلس وهو صاحب جزيرة انكلاطرة واسمه بنس غالس، مستنصراً به على اخيه ، فامده بامم لا تحصى كثرة وجنود لا قبل لاحد بها ، فسار بهم حتى ملك قشتالة والفرنثيرة وهرتسيطة قرطبة واشبيلية وطلليطة وغيرها ، وفر منه القمط فاقامت معه جموع البنس ليالي قلائل ، واصبحوا كلهم وقد ضربهم الله سبحانه بحمى تعفن منها قتل انتظمت منه جميع ابدانهم ، فكان الرجل منهم يرى وقد تكمل بالقمل من مفرق رأسه الى اقدامه ، فمات من ذلك معظمهم في ثلاث ليال ، ففر ابن البنس بمن بقي معه إلى ابيه . وعد المسلمين بالاندلس هذه الكائنة من

معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لو تمكن هؤلاء من العدو ما تركوا فيها للاسلام اسماً ، وربك على كل شيء قدير . وعند سار ابن البنس تحرك القمط على اخيه فلم يطق محاربته لعجزه عن مقاوامة ، وارسله في الصلح فاجابه مخادعة وسار اليه الفنش ليعقد عقد الصلح ، فعندما تلاقيا ابتدا القمط يسب الفنش واقتحم عليه فتعاركا ملياً حتى خر القمط وعلاه الفنش ولم يكن مع أحد منها سلاح : فتقدم مولى من غلمان القمط اليه وناوله سكيناً بقر بها بطن الفنش ، فقام عنه وثار القمط فاجهز عليه . وملك بعده ، وأمر بالغلام الذي اعطاه السكين فشنق ، لان العادة عندهم أن من قتل ملكاً أو اعان على قتله يقتل ، ولولا انه دفع السكين لما امكن قتل الفنش ^(١) .

اخبرنا أبو زيد أن العنوان المعتبر في صحة الانساب ان يجعل لكل مائة سنة ثلاثة اشخاص ، فان جهلت السنين فاجعل لكل ثلاثة اشخاص مائة سنة ، وان جهلت الاشخاص فاجعل لكل مائة سنة ثلاثة اشخاص .

أخبرنا أبو زيد انه ما برح يستبعد ما نقل عن الأمين محمد بن هرون الرشيد أنه ضرب الأسد بمرقعه فقتله . فان القوة الانسانية لا تبلغ هذا ، حتى قال له يعقوب بن علي أمير رياح وشيخها ببلاد المغرب ، ان الأسد له مقتلان مهما أصابها مات منه لوقته ، وهما مكان بين عينيه لو رماه صبي بحصاة فيه لهلك للحين ، والآخر على رأس أضالعه فانه لو نحس هناك بمسال لهلك سريعاً . قال وكان يعقوب هذا صاحب تجارب كثيرة ومعرفة تامة .

حدثنا أبو زيد قال أخبرني الأمير جمال الدين محمود بن علي استادار الملك الظاهر برقوق ، انه لما قبض عليه في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة عند ما زالت دولة الظاهر ، حمل إلى الأمير

(١) على الكتاب حاشية هي — ولعل القمط المذكور ابتلى بالسر وعدم النوم بعد قتل أخيه ليتم سياق

الكلام فتأمل — وهي بخط آخر .

يلبغا الناصري ، وإلى الأمير منطاش ، ستين قنطاراً من الذهب المختوم المصري ، منها في ليلة واحدة ثمانية عشر قنطاراً ، وكانت مدة استيلاء هذين الأميرين على المملكة نحو خمسة أشهر .

حدثنا أبو زيد أن في حدود سنة أربعين وسبع مائة ^(١) ، دخل السلطان أبو الحسن المريني إلى سبته فاجتاز به قوم من الفرنج الجنوبية في غرايين بالبحر واخبروه أنهم خرجوا من جنوه ، وقد أعدوا زاد سنتين وساروا في البحر يريدون الاطاحة بمعرفة ما فيه ، ودور ما أحاط بالمعمور ، فرأوا فيه بالجزائر الخالدات ، وإذا أهلها عراة لا يعرفون من الثياب ما يعرفه الناس ، وإنما يوارون عورتهم بشيء تافه ، وعند ما نزلوا الى هذه الجزيرة خرج أهلها اليهم ليدفعوهم عنها ، فلم يطيقوا السهام وفروا عنهم ، فلكوا الجزيرة واعتبروا ما فيها من المال ، فلم يجدوا بها من الحيوان إلا المعز فقط ، وهم يحرقون الأرض بقرون المعز ، ويزرعون الشعير وليس لهم قوت غيره ، ولا يعرفون السلاح وإنما يرمون بالحجر فيستدبر الرجل منهم خصمه ثم يجذفه بالحجر ، وإذا ظهرت الشمس من أفق المشرق خروا لها ساجدين ، وانهم لم يجدوا عندهم مالا ولا ثياباً . فاستقوا من مأثم ، واسروا منهم ، وساروا عنهم ، فلم يزالوا في البحر حتى كاد مأثم ينفذ ، وفقدوا منهلاً يردوه ، فخافوا الهلاك ، وعادوا الى أقرب ما خلفوه من المياه فاستقوا منه ورجعوا ، وانهم كانوا لا يفارقون البر إلا بمقدار ما يمكنهم العود اليه . قال فسألهم السلطان أبو سالم عن ذلك بنفر ممن أسروه من الجزائر ، فقدموا اليه رجلين جعلهما مع خدامه حتى عرفا اللسان العربي ، وصارا يحدثان عن حالهم بأمور ، وذكرنا (أن) أهل الجزائر لم يبلغهم قط خبر دعوة الاسلام ، ولا سمعوا له ذكراً .

فلما مات أبو سالم وقام من بعده ابنه أبو عنان ، تافت نفسه الى أخذ الجزائر الخالدات ،

(١) تقابل سنة ١٤٣٩ م

فجهز قائد الاسطول بناحية ازْمُور في غراب مشحون بالازودة والرجال ، فغاب في البحر شهرين وعاد من غير أن يعرف لها خبراً . قال أبو زيد ، فأخبر هذا القائد السلطان أبا عنان بحضوري انه سار في البحر حتى شاهد البخار وقد انعقد على الماء ، فصارت المركب كأنما تحرق في شجيم ، فضاقت أنفاسهم لانعقاد البخار وكادوا يهلكون فلذلك رجعوا . واخبروا عن عجائب شاهدها في البحر ، وأقام مدة ، فاتفق أنه حكى للسلطان في بعض الأيام أخبار ما وقف عليه في مدة غيبته في البحر إلى أن قال : ومرّ بنا طائر أخضر ، فغضب السلطان وقال ويلك وهناك كانت الجزائر ، فان الطير لا يكون إلا حيث الماء والمرعى وهما في الجزائر ، فتلكأ في الجواب ، فأمر به فخرّد من ثيابه وضرب زهاء خمس مائة سوط عقوبة له على تقصيره في الطلب .

حدثنا أبو زيد قال: جرت ببلد المريه عام خمس وستين وسبع مائة فسمعت أهلها يذكرون ان عندهم وادياً فيه نوع من الطير فوق الجبل ، اذا وقف أحد تحته وقال كم أعيش من العمر ، صاح عدة أصوات بعدة سنين عمره ، وان ذلك لم يخط قط . فمضى غلام كان معي إلى ذلك الوادي ، ثم جاء وذكر لي انه لما سأل كم يكون عمري ، صاح طائر تسعة وثلاثين صوتاً ثم سكّت ، فسرنا عن المدينة وأقمنا ما شاء الله ، إلى (أن) كنا في بادية فاعترض بعض الأحياء قوم يريدون أخذهم ، فنفر اليهم طائفة من أصحابي وفيهم ذلك الغلام فدافعهم عن الحي ساعة وهم يقاتلونهم ، فأصاب الغلام مزراقاً خراً منه ميتاً ، فحسبت عمره فكان تسعاً وثلاثين سنة سواء .

حدثنا أبو زيد ان بلداً بالمغرب يقال لها بَزِينغ ، إذا أرادوا أن يستنبطوا بها الماء ، حفروا جباً حتى يجدون الحجر ، فيعالجون قطعه حتى يشف الماء من تحته ، فيصعد الرجل إلى نحو نصف البئر ويلقي سكة حديد محكمة لها قوة بحيث أنها اذا اسقطت على الحجر خرقتة ، فعند ما يتخزق فار الماء وصار عيناً تجري . وربما يبلغ الحفر إلى أن يوجد الحجر

مائة قامة ، وهكذا حالهم في جميع ما هم .

حدثنا أبو زيد أن عريف بن يحيى شيخ زغبة من عرب هلال ببلاد المغرب ، كان له حدس عجيب لا يخطئ ، وتجارب كثيرة منها أنه كان قائلاً في خباية ذات يوم وأهل الحي كلهم وادعون ، إذ خرج نائراً يصيح فيهم الرحيل الرحيل ، فجأؤوه يهرعون من كل جهة ويسألونه عن الخبر ، فقال الساعة يسيل الوادي ، وكانوا من معرفته على يقين ، فتبادروا يرحلون إلى عدوة مرتفعة . و (في) الحال نشأت سحابة طبقت الأفق ، وأرخت مثل عزالي القرب ، فسال الوادي حتى بلغ السيل الزبي ، فسألوه من أين قلت ما قلت ، فقال رأيت الجرذان وقد خرجت بأسرها من أنفاقها تحمل أولادها ، فعلمت أن السيل آتٍ وإنها تريد أن تتحيز إلى مكان يعصمها من الماء . قال أبو زيد وهذا أمر يعرفه أهل البادية ، فإذا رأوا الجرذان قد خرجت بأولادها ومرت ، أيقنوا بمجيء السيل . فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

حدثنا أبو زيد قال كنت عند ابن الخطيب ، فنعي إليه شخص فأنشد في الحال ، مصيبة لا غفر الله لي أن أنا أجريت لها دمة .

حدثنا أبو زيد أنه شاهد ببحر القلزم لما ركب له حج عام تسعة وثمانين وسبع مائة ، حجارة بنيت في الماء بنياناً ومنها ما بعضه نبات أخضر وبعضه قد أنعقد حجراً .

حدثنا أبو زيد أن السلطان أبا عنان استدعى أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن التتنام ، عابر الرؤيا بفاس ، وكان في علم عبارة الرؤيا آية من آيات الله ، فقال له رأيت آتي عثمت بعض أهل دولتي بفوطه لونها رملي بحاشية نارنجي ، وليس ذلك لمن تليق به هذه العمامة . فقال يا مولاي توليه عملاً لا يليق به ، قال فما ذلك العمل ، قال هو شيء يتولد من رمل ونار . قال من أين هذا ؟ قال من لون الفوطه وحاشيتها . قال فما اسمه ؟ قال من الاسماء المضافة يصلح أن يكون عبد ... فما تمّ قوله عبد حتى قال المؤذن للمغرب الله أكبر ، فقال عبد الله .

فاشدد تعجب السلطان منه ، وقال هذا الذي رأيته هو عبد الله الوري قاضي الجماعة ، وكنت عزمت على ان اوليه النظر في معدن النحاس الذي ظهر بتملسان . ثم استدعاه وولاه أمره ، وكان لا يليق بمثله ولا به ذلك .

قال وقص عليه ايضاً أبو عنان ، انه رأى كأنه يتوضأ من عين ماء ، ثم انه صلى فاستقبل في صلاته جهة المغرب ، فثارت من خلفه رياح فرقت السحب التي كانت في السماء . فقال يسافر السلطان إلى جهة المغرب بعد سبعين يوماً ، ويفسد عرب رياح في جيشه . قال من أين هذا ؟ قال الصلاة تدل على القصد والتوجه ، وقد توجهت في صلاتك إلى ناحية المغرب فتسافر اليها . وعدد حرف العين بحساب الجمل سبعون ، وانت توضأت من عين فتسافر بعد سبعين يوماً ، والسحاب الجيوش ، والرياح عرب رياح ، وتفرقها إفسادها . قال فكان كذلك : سافر السلطان بعد سبعين يوماً من رؤياه إلى المغرب وعاثت عرب رياح في عساكره وأفسدت . قال أبو زيد وعلامة الرؤيا الصادقة ان يتنبه المرء حال رؤيتها وتثبت في نفسه فلا ينساها .

حدثنا أبو زيد أنه خرج من تونس في سنة أربع وثمانين وسبع مائة وبها امرأة مشهورة بالسحر ، يأتيها المسافرون في البحر ويبتاعون منها الهواء لمدة معينة بمبلغ مال ، فتدفع اليهم إناءً مجوفاً مسدود الفم ، وتقول إذا توقف الريح فافتحوا هذا الاناء ، فيسيرون بمراكبهم إلى أن يقف الريح فيحلون الاناء فتخرج لهم ريح تسير مراكبهم مدة ماشارطتهم . حدثنا أبو زيد انه أحضر إلى السلطان أبي سالم بأمرأتين من الخضراء ، ذكر أن لهما قدر أربعين سنة ما أكلوا ولا شربوا شيئاً ، فأمر بهما أن يدخلوا إلى مكان في داره ، ووكل بهما من يعرف خبرهما فكثا شهريين لم يتناولوا طعاماً ولا شرباً البتة ، وكانا مع ذلك يأتيهما المحيض .

حدثنا أبو زيد أن وزما بن عريف شيخ زغبة حدثه عن نفسه انه نكح ألف امرأة وملك خمسين ألف ناقة حلابة .

انتهت ترجمة ابن خلدون كما جاءت في (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة)
للمقريري . ولا بد من الإشارة إلى مهرجان ابن خلدون الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٦٢
والكتاب الذي نشرت فيه أعمال المهرجان والكتاب الذي أعده عبد الرحمن بدوي عن
مؤلفات ابن خلدون وما كتب عنه ، وكلها لم تشر إلى هذه الترجمة التي كتبها المقريري .

تموز ١٩٦٥

الدكتور محمود الجليلي

المراجع :

ابن خلدون — التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً . نشرها محمد بن تاووت
الطنجي — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥١ .
أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة في يناير ١٩٦٢ — لباحثين عديدين —
منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية — القاهرة ١٩٦٢ .
ساطع الحصري — دراسات عن مقدمة ابن خلدون — مطبعة السعادة — القاهرة ١٩٦١ م .
السخاوي — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع — الجزء الرابع — طبعة القاهرة ١٣٥٤ هـ .
طه حسين — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية : تحليل ونقد — ترجمة محمد عبد الله عنان
القاهرة ١٩٢٥ م .

عبد الرحمن بدوي — مؤلفات ابن خلدون — منشورات المركز القومي للبحوث
الاجتماعية والجنائية — القاهرة ١٩٦٢ م .

فيشل ، و . ج — لقاء ابن خلدون لتي مورلنك ترجمة محمد توفيق — مؤسسة فرانكان ودار
مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٣ م . W. j. Fischel - Ibn Khaldun and Tamerlane
محمد عبد الله عنان — ابن خلدون — حياته وتراثه الفكري — مطبعة دار الكتب
المصرية — القاهرة ١٩٣٣ م .

محمود الجليلي — درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة — للمقريري — مجلة
المجمع العلمي العراقي — المجلد الثالث عشر صفحة ٢٠١ ، بغداد ١٩٦٥ م .